الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي
تخصص: نقد عربي

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

دراسة مقارنة

بين شعر مفدي زكرياء ومحمود درويش

قصيدتا:

"فلا عز حتى تستقل الجزائر" و "وطن". أنموذجا.

مذكرة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي

إعداد الطالبين:
- عبد المؤمن عثماني.
- يوسف منماني.

إشراف الأستاذة:
– نفيسة طيب

السنة الجامعية
2014/2013

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى الوالدين حفظهما الله ورعاهما وجعلني لهما قرة عين.

إلى إخوتي: نسيمة، يعقوب، وائل، إياد.

إلى جدي وجدتي اللذين لم يبخلا علي بالدعاء.

إلى أصدقائي محمد بن قويدر عبد الرزاق، رمضان.

وإلى زميلي في البحث يوسف ، عبد الغاني.

إلى عليلو، بلقاسم كربالي.

إلى بلال قراش، وإلى الشاعر عبد السلام عثماني إلى كل الأصدقاء الذين كانوا لي خير عون وسند

. عبد المؤمن .

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

الوالدين حفظهما الله.

إخوتي وأخواتي رعاهم الله.

إلى من شاركني نصيبا من عملي.

إلى جميع أصدقائي وأخلائي.

- يوسف -

مقدمة:

استمد الشعر الثوري العربي قوته من الواقع المعاش، فهو يـُعرف بشعر المقاومة، وكأنه سلاحٌ لمجابهة العدو، لما فيه من بلاغة وحسن تصوير ولما له من تأثير حتى في حاضرنا، كنا في مرحلة التعليم الابتدائي نرتل بعضًا من الأناشيد الثورية الرائعة، وقد زاد هذا التعلق بعد اطلاعنا على العديد من هذه النماذج الشعرية، ولنا في دارستنا مقارنة بين نوعين من الشعر المقاوم، نوع آتَ ثماره جاء مع الشعر العمودي لمفدي زكرياء للثورة الجزائرية بقصيدة "فلا عز حتى تستقل الجزائر" والتي نعتبرها بدون مبالغة غاية في الإبداع فاتخذناها من أجل دراستها دراسة أدبية ونقارن حسها الثوري وجماليتها مع النوع الثاني الذي ما زال يعاني ويلات الاضطهاد والمعاناة هو الأول وبدون منازع محمود درويش المحامي عن القضية الفلسطينية وقصيدته "وطن" أنموذجا للدراسة، فهو من الشعراء المتميزين الذين أثروا في الحركة الشعرية العربية، وهو من القلائل الذين لم يقفوا إلى حد ما، إنه ثائر بحق، ثار ضد الظلم غير آبه وثار ضد القصيدة العربية التقليدية واتبع نهجا جديدًا في كتابة قصائده.

جاء العمل تحت عنوان مقارنة بين الشعر الثوري الجزائري والشعر الثوري الفلسطيني (قصيدة "فلا عز حتى تستقل الجزائر" لمفدي زكرياء، وقصيدة "وطن" لمحمود درويش)، فهل هناك نقاط مشتركة بين القصيدتين شكلا ومضمونا؟.

ويعود سبب اختيار هذا الموضوع إلى قيمة هذه القصائد والتأثير على النفس الإنسانية من أجل النهوض والدفاع على العرق والأرض.

وإلى اعتبارات وهي استعمال الشاعرين للقصيدة كسلاح لمكافحة المستعمر.

وأيضا إلى إعجابنا الشديد لهذين الشاعرين لما لهما من شخصية وقول ألهمت النفوس وشحذت الهمم من أجل القضية الوطنية.

ومن كل هذا الاعتبارات ما كان لنا إلا أن قسمنا البحث إلى ثلاث فصول بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة.

– الفصل الأول عبارة عن تمهيد فهو وقفة على نشأة الشاعرين وحياتهما الفكرية والسياسية.

– الفصل الثاني الذي عنوانه دراسة مقارنة في شكل القصيدتين: تطرقنا فيه إلى نظام الوزن والقافية في القصيدتين كما تطرقنا إلى تجلي الرمز في القصيدتين، والعنصر الثالث استخلصنا فيه مواطن التداخل والاختلاف من حيث الشكل.

– أما الفصل الثالث الذي عنوانه دراسة مقارنة في مضمون القصيدتين: تطرقنا فيه إلى مضمون القصيدتين واستخلصنا أوجه التشابه والاختلاف مضمونا.

فما كان لنا إلا أن اتخذنا التحليل كمنهج من أجل المقارنة والبحث فقد أوتينا من عملنا هذا نصبا وكل شيء بعلم وعمل تعبه مريح، فشكرًا إلى أستاذتنا المشرفة التي لم تبخل علينا بمعلومات ونصائح وجهتنا بها، ونحن مدينين لكل فرد سهل علينا وأمدنا بمنابع الحبر من مختلف المصادر والمراجع وخاصة الدواوين الشعرية، اللهب المقدس لمفدي زكرياء، وديوان محمود درويش، ونأمل أن نكون جمعنا بما أوعينا.

الفصل الأول: النشأة الفكرية والسياسية لدى الشاعرين.

1. مفدي زكرياء:

– مولده ونسبه.

– حياته الفكرية والسياسة.

– وفاته وأهم آثاره,

2. محمود درويش:

– مولده ونسبه.

– حياته الفكرية والسياسة.

– وفاته وأهم آثاره.

1- مفدي زكرياء: حياته الفكرية والسياسة:

1-1- مولده ونسبه:

يعدّ شاعر الثورة الجزائرية من مواليد "1908م ببني يزقن إحدى قرى بني ميزاب في الجنوب الجزائري (غرداية)، اسمه الكامل مفدي زكرياء بن سليمان الشيخ صالح، ينحدر من أسرة آل الشيخ الامازيغية الأصل التي تعود جذورها إلى بني رستم مؤسسي الدولة الرسميّة تيهرت (تيارت) في القرن الثاني الهجري"[1]

أعتبر مفدي زكرياء من الشعراء الذين خاضوا ميدان الشعر ، وكانت هناك عوامل ساعدت الشاعر على الظهور رغم صغر سنه والتي اندرجت في تلك البعثة الميزابية الجزائرية في تونس وفي هذه البعثة خاصة التي شهد لها الإمام عبد الحميد بن باديس بالصلاح في الأخلاق، والابتكار في المنهج الذي انعكس تطبيقه على أبناء البعثة، حيث وجد المجال أمامه مفتوحًا والفرصة مواتية فأدى بدلوه في كل نشاط تقوم به الجمعية ونذكر على سبيل المثال مجلة الوفاق التي خصصتها البعثة للناشئين يديرونها بأنفسهم ويعبرونها بأقلامهم.

ويضاف إلى ذلك دور البيئة التونسية التي عاش فيها مفدي زكرياء حيث النوادي الأدبية كثيرة، والصحف التي فتحت أبوابها في وجه كل من كانت له إرادة وطموح واستعاد لأن يدخل في معترك الحياة السياسية والفكرية والأدبية.[2]

فمن طبيعة الشعراء أنهم يمتازون بالإحساس المرهف والسمو بالألفاظ والمعاني وحب الإطلاع على أمهات الكتب في اللغة والأدب والعروض والقواعد وكتب الشعر مما يُظهر لدى الشاعر نبوغ مبكر وإنتاج يدخل به في حياة القصائد والشعر ومن الإرهاصات تلك القصيدة التي نضمها في رثاء أضحية العيد ساعة قدمت الأضحية للذكاة، وكانت بعنوان "كبش الفداء" والتي يقول فيها:

لهفي على شاة لنقاد قيدت للذبح وهي نقية الأدران.

استضعفوك فلذّ لحمك عندهم هلا استلذوا لحم ليثٍ قاني.[1]

---

[1]- حواس بري، شعر مفدي زكرياء، دراسة تقويم، ب ط، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، ب ت، ص27.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص32.

تتكون في الشاعر الموهبة والتي تلزمها الدراسة على يد شعراء آخرين، فاستلهم مفدي نبوغه الشعري من المشرق العربي بالعودة إلى مؤلفات ودواوين كثيرة كمؤلفات شوقي وحافظ والرصّافي وغيرهم.

1-2- حياته الفكرية والسياسية:

يتضح توجه مفدي زكرياء السياسي من خلال قصائده النضالية، فكان اتجاهه هو تحرير البلاد بالقوة ومواجهة الاستعمار بالسلاح. فظل يتغنى بالوطن في أشعاره فمزج الشاعر شعره بتوجهه السياسي فنجد من أغراضه الشعرية الغزل فهو لدى الشعراء هو التغزل بالجنس الآخر أّما عند مفدي زكرياء هو تغزلٌ بالوطن.

لم يعرف لمفدي زكرياء توجه ًا سياسيًا عن طريق الأحزاب أو غير ذلك، إنما كان ذلك التوجه في شعره فهو نادى من أجل الاستقلال، حتى بعد استقلال الجزائر حيث عمل الشاعر في مجال التجارة ثم فتح مكتبا للترجمة في ساحة الأمير عبد القادر بالعاصمة.

أما عن النشاط الفكري لدى مفدي فهو كغيره من رجال الفكر والأدب، سطع نجمه في تونس بما كان ينشطه من أشعار أو مقالات وآراء حرة، ولما اشتد ساعده أصبح له تجربة تقلد مفدي رئاسة تحرير مجلة "الحياة" سنة 1933 التي أنشأها مع صديقه أبي سعيد عدون وكانت لا تمثل أي اتجاه حزبي معين.[2]

تعتبر هذه الجريدة علمية أدبية اقتصادية أخلاقية، حيث كان مفدي زكرياء مولعا بالعمل الصحافي وحاول جعلها أداة لتنوير العقول، كما أن لها دورٌ في شحذ العزائم وتحريك الهمم.

1-3- وفاته وأهم آثاره:

---

[1]- حواس بري، شعر مفدي زكرياء، ص33.

[2]- المرجع نفسه، ص33.

أ- وفاته:

توفي مفدي زكرياء إثر سكتة قلبية يوم 1977/08/17 بعد أن أدى فريضة الحج هو وزوجته. وطلبت كل من الحكومتين التونسية والمغربية تولي دفن جثته في أرضها إلاّ أن الحكومة الجزائرية أبت ذلك، وجعلت الأرض التي أحبها ودافع عنها تحتضنه، وبذلك دفنت جثته في مسقط رأسه (بني يرزقن) بغرداية جنوب الجزائر.

توفي مفدي زكرياء وهو حامل لوسام الكفاءة الفكرية من الدرجة الأولى من ملك المغرب ووسام الاستقلال من الدرجة الثانية من رئيس جمهورية تونس، ووسام الاستحقاق الثقافي من الحبيب بورقبة أيضًا.[1]

ب- أهم آثاره:

إن نتاج الشاعر مفدي زكريا يتلخص في: ديوان اللهب المقدس الذي طبع في ثلاث طبعات، تحت ظلا الزيتون، إلياذة الجزائر من وحي الأطلس.[2]

2- محمود درويش: حياته الفكرية والسياسية:

2-1- مولده ونسبه:

محمود درويش من مواليد 13 مارس 1942م بقرية الْبَرْوَة الواقعة في الخليل الفلسطينية فهو من عائلة برجوازية فلاحية، كان لأبيه إلمام بسيط بالثقافة، أما جده فكل الفضل في تشجيعه على القراءة والكتابة ويفاخر به وبحس قراءته وهُو ابن ست سنوات.

برزت وطنيته إثر المأساة الفلسطينية والاحتلال الفلسطيني سنة 1948م، مما اضطره إلى الهجرة رفقة بعض أفراد أسرته جنوب لبنان، وذلك بعدما حدث من دمار لقريته من طرف الاحتلال الصهيوني، وفي سنة 1949م التحق بالمدرسة الابتدائية في بيروت التي لم تدم مدة إقامته فيها فعاد إلى أرض أجداده متسللا مع أحد أعمامه سنة 1950م، حيث أكمل دراسته في وطنه فكانت أول كتابة له قصيدة تقليدية عن وصف

---

[1]- ينظر، حواس بري، شعر مفدي زكرياء دراسة وتقويم، ص 50.

[2]- يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكرياء، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، الجزائر، ب ت، ص50.

العودة من لبنان إلى فلسطين وهو ابن ثماني سنوات، هذا ما جعل مدرسيه يشجعونه في كتابة قصائد عاطفية.[1]

تأثر محمد درويش بالكتب والمؤلفات والسّير التي كانت بحوزة أبيه وجدّه، التي كانت تحمل في طياتها أشعارًا كان لها حضور في ذاكرته، فجده بم يقصر في العناية به وبتكوينه الثقافي.

أنهى محمود درويش دراسته الثانوية بنيله شهادة البكالوريا وفي السنة ذاتها أصدر ديوانه عصافير بلا أجنحة عن دار النشر في عكا.[2]

2-2- حياته السياسية:

برز توجه محمود درويش السياسي إثر التحاقه بالعمل الصحافي بجريدة الاتحاد، ألف محمود درويش بين شعره وعمله الصحافي والتزم السياسي، مما عرضه للسجن عشرات المرات بسبب نشاطاته السياسية وانضمامه للأحزاب ومشاركته في المهرجانات كمشاركته في مهرجان الشباب في صوفي ضمن أعضاء وفد الحزب الشيوعي[3]، حيث احتك بشباب ومثقفين عرب مشاركين في نفس المهرجان.

2-3- حياته الفكرية:

نجم عن احتكاك محمود درويش بالأدباء والمثقفين وكثرة الإطلاع رصيدٌ لا يستهان به من مؤلفات ودواوين أبرزها: "حبيبتي تنهض من نومها"، "يوميات جرح فلسطيني"، حاز بفضلها على جائزة اللوتس الأسيوي الإفريقي.

هذا ما حفزه على التأليف فكثرت مدوناته واشتهرت حتى أخذت تترجم إلى العديد من اللغات الأجنبية، وأخذت تتسع حتى بلغت ما يزيد عن أربعين لغة "بم يتوقف الناتج الشعري لمحمود درويش فقد أظهرت معظم قصائده تمسكه بوطنيته وعروبته فهو الذي قال: "إنني أتمزق مرتين، مرة على شعبي...مرة على المواطنين اليهود الذين يقودهم حاكمهم إلى الكارثة، ولقد كنت أتمزق كل يوم وأنا أرى منازل أهلي يسكنها

---

[1]- ينظر: محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، الشعر المعاصر، ط2، دار توبقال للنشر، المغرب، ب ت، ص276.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 277.

[3]- المرجع نفسه، ص277.

غرباء وأسمع منها أغاني انتصار الفاتحين الذين يلاحقون الضحية حتى منفاها ليقضوا على آثارها".[1]

2-4- وفاته وأهم آثاره:

أ- وفاته:

رحل محمود درويش عنا عن عمر يناهز 67 عاما، أجريت له خلالها ثلاث عمليات في القلب، فقد خضع في وقت سابق لعمليتي قلب مفتوح عامي 1984م و1994م، وكانت العملية الأخيرة وراء ولادة قصيدته "جدارية" التي يصف فيها علاقته بالموت، وكان قد خضع يوم الأربعاء 2008/08/06م لعمليتي قلب مفتوح في مستشفى "ميموريل هيرمان" بولاية تكساس الأمريكية، ظلّ يعاني من مضاعفاتها لثلاثة أيام إلى حين أَسلم الروح، وانتقلت روح شاعرنا إلى ربّها يوم السبت 2008/08/09م بعد ثلاثة أيام من إجراء العملية الجراحية قي القلب.

ب- أهم آثاره:

عصافير بلا أجنحة 1960م[2]، أوراق الزيتون 1964م، عاشق من فلسطين 1966م، آخر الليل 1967م، العصافير تموت في الجليل 1970م، أحبك أولا أحبك 1972م، تلك صورتها وهذا انتحار العاشق 1975م، أعراس 1976م[3]، شيء من الوطن، وداعًا أيتها الحرب، وداعًا أيها السلم.

---

[1]- هاني الخير، محمود درويش رحلة عمر في دروب الشعر، دط، دار المؤسسة رسلان، المغرب، 2008، ص 50.

[2]- رجاء النقاش، محمود درويش، شاعر الأرض المحتلة، ص125.

[3]- المرجع نفسه، ص 125.

الفصل الثاني: دراسة مقارنة في شكل القصيدتين.

1- البناء الفني للقصيدتين.

2- نظام الوزن والقافية في القصيدتين.

3- تجلي الرمز في القصيدتين.

4- مواطن التداخل والاختلاف في القصيدتين

1- البناء الفني في قصيدة مفدي زكرياء:

إن مفدي زكرياء من الشعراء اللذين حافظوا على بناء القصيدة العربية دون اللجوء إلى التكلف والصنعة، ولعل الواقع الذي وُجد فيه الشاعر الجزائري فرض عليه موقفا دقيقاً يوازن فيه بين مطالب قضيته وما تطلبه من شعر بأسلوبه ومفرداته، وما تتطلبه هذه القضية من القول والحماسة ونبرة عالية في الإيقاع ومن هنا نبدأ بحثنا هذا في الجوانب الشكلية للقصيدة من إيقاع ووزن وموسيقى

أ- الموسيقى:

في مفهومها العام هي "مجموعة من الأصوات التي يتألف من ضرباتها الموقعة نغمٌ يلمس المشاعر، ومن إيقاعها لحنٌ يهز أوتار القلوب"[1]

ويرى إبراهيم أنيس أن "للشعر نواحي عدة للجمال لكن أسرعها إلى نفوسنا ما فيه جرسٌ الألفاظ وانسجام في توالي المقاطع، وتردد بعضها بقدر معين"

فالموسيقى هنا ما يبعث على الراحة وإزالة الملل والرتابة. كما هي الموسيقى الناتجة عن تتبع تفعيلات معينة تتكرر في كل بيت دون تغيير، شأنه شأن الشعر التقليدي يتصف هذا النوع من الموسيقى الشعرية بأنه ثابت لا يتغير، ولذلك نرى اهتمام النقاد القدامى بالوزن وأولوا جانبا كبيرًا بالقافية. فقال ابن جني "ألا ترى أن العناية في الشعر أنما هي بالقوافي"[2]

أما عبد العزيز عتيق فيرى:«الموسيقى تقوم على تقسيم الجمل إلى مقاطع صوتية طولا وقصرا أو إلى وحدات صوتية معينة على نسق معين، بغض النظر عن بداية الكلمات ونهايتها».[3]

أما عن صلتها بالعروض فهناك صلة بينه وبين الموسيقى بصفة عامة وهذه الصلة في الجانب الصوتي، وهي صلة المتولد من الأصل، فالعروض في حقيقة أمره ليس إلا ضربا من الموسيقى اختص بالشعر على أنه مقوم من مقوماته.[4]

---

[1]- ينظر: حواس برى، شعر مفدي زكرياء دراسة وتقويم، ص275.

[2]- ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد على النجار، ط2، دار الكتاب العربي. بيروت، 1952م، ص84.

[3] - عبد العزيز عتيق، علم العروض والقافية،دط، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2004، ص 11.

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص 11.

ب- الرمز:

لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور هو إشارةٌ وإيماءٌ بالعينين والغم، والرمز في اللغة كل ما أشارت إليه مما يبانُ بلفظ [أي شيء أشرت إليه بيدٍ أو بعين، ورَمَزَ يَرْمُزُ ويَرْمِزُ وفي التنزيل العزيز قصة زكرياء أَلاّ تكلم الناس ثلاثة أيام إلاّ رمزًا" ورمزته المرآة بعينها تَرْمِزُه رمزًا بمعنى غَمَزَته وجارية رمازةٌ، غمازةٌ، وقيل الرّمازة: الفاجرة، مشتق من ذلك أيضًا ويقال للجارية الغمازة بعينها: رَمازةٌ أي ترمز بفيها.[1]

اصطلاحًا: «هو تلك المعاني الخفية التي يسعى الشاعر للتعبير عنها مستعينا بالألفاظ والتعابير الدالة التي تحمل أبعادًا جديدة، تدفع المتلقي إلى البحث عنها وكشفها»[2]

كما ذكره "قدامة بن جعفر" في كتابه "نقد الشعر": «أن يكون اللفظ القليل مشتملٌ على معانٍ كثيرة بإيماء إليها أو لمحة تدل عليها»[3]

إذن تبقى قيمة الرمز في مدى إضفائه على التجربة كحركة نفسية تزيد من درجة الانفعال التي تنقل من التجربة إلى العمل الفني، وهو تعير من الأدوات التي يستخدمها الشعراء المعاصرين خاصة للتعبير عن التجارب والمكنونات.

ج . الإيقاع:

لغة: قام العديد من اللغويين العرب بتعريف كلمة "الإيقاع"، ومن بينهم "ابن منظور" في معجمه "لسان العرب" يقول:«الإيقاع من إيقاع اللحن والغناء، وهو أن يوقع الألحان ويبينها».[4]

من خلال تعريفه نفهم أن "ابن منظور" يرى أن مصدر الإيقاع هو اللحن والغناء وهو الذي يعمل على إبرازها وإظهارها.

أما "الفيروز أبادي" فله نفس النظرة يقول:« الإيقاع من إيقاع اللحن والغناء، وهو أن يوقع الألحان ويبينها».[1]

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، ط4، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، د ت، ص223.

[2]- نوارة ولد أحمد، شعرية القصيدة الثورية في اللهب المقدس، د ط، دار الأمل للطباعة والنشر،ب ت ص129.

[3]- قدامه بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دط، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1978م، ص154.

[4]- ابن منظور، لسان العرب، ص 263.

أما عند المحدثين فلم يختلف عما جاء به القدامى، إذ نجد تعريفا الإيقاع في "المنجد" كما يلي:«الإيقاع (مص) اتفاق الأصوات وتوقيعها».[2]

اصطلاحا: أول من استعمل مصطلح الإيقاع عند العرب هو "ابن طباطبا" في كتابه "عيار الشعر" فقال:«وللشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه ويرد عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه»، فإذا اجتمع الفهم مع صحة الشعر وصحة المعنى وعذوبة اللفظ، فصفا مسموعه ومعقوله من الكدر تم قبوله، واشتماله عليه وان نقص جزء من أجزائه التي يعمل بها: اعتدال وصواب المعنى، وحسن الألفاظ كان إنكار الفهم إياه قدر نقصان أجزائه.[3]

أما "إبراهيم أنيس" فقد تعرض لمصطلح الإيقاع، لكن بصيغة أخرى تماما، فقد استعمله على أساس موسيقى الشعر[4]، أي أنه يتمثل في تلك الأصوات والمحسنات البديعية وكل ما يتعلق بالجرس الموسيقي.

وعرّف "صابر عبيد" الإيقاع على أنه:«الّنقلة على النغم في أزمنة محدودة المقادير والنسب، أو تقدير لزمان الفرات، أو قسمة زمان اللحن بنقرات، وهو النقلة على أصوات مترافقة على أصوات تتوالى متساوية وكل واد منها يسمى دورًا».[5]

2- نظام الوزن والقافية في القصيدتين:

أ- قصيدة "فلا عزّ حتى تستقل الجزائر" لمفدي:

---

[1] - الفيروز أبادي، قاموس المحيط، مج3، دط، دار الجيل، بيروت، ب ت، ص100.

[2] - لويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، ط4، دار الشرق، بيروت، ب ت ص 914.

[3] - ابن طباطا، عيار الشعر، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1982، ص 21.

[4] - عبد الرحمن تبرماسين، العروض وإيقاع الشعر، ط1، دار الفجر للنشر، القاهرة، 2003، ص80.

[5] - محمد صابر عبيد، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية،دط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص11.

اعتمد الشاعر مفدي زكرياء على البحور التراثية ونسج عليها قصائده وعدّ الالتزام ببحور الشعر لا يقل أهمية عن التزامه بمبادئه الدينية وقيمة الوطنية والقومية، ولم يخرج على هذا النظام إلاّ في الأناشيد.

ومن خلال دراستنا لقصيدة "فلا عزّ حتى تستقل الجزائر" نرى أن الشاعر في نظمه للقصيدة اعتمد على بحر الطويل، الذي يتميزه بطول النفس، وأغلب الشعراء يلجأون إليه لتخليد البطولات وتناول الملاحم فيه لأنه يسمح لهم باستيعاب المعاني اللازمة لذلك الغرض. ويتألف الطويل من تفعيلتين هما "فَعُولُن"، "مَفَاعيلن" تتكرر كل منها أربع مرات على هذا المنوال:

فَعُولُن مَفَاعِيلُن فَعُولُن مفاعيلن فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعيلُنْ.[1]

ويمكننا أن نمثل له يقول الشاعر:

جَزَائِرُ مَهْمَا بَاعَدَ الخَطْبُ بَيْنَنَا تَبَارِكِي النَّجوى وَتَهْفُو بِي الذِّكْرى[2]

والكتابة العروضية لهذا البيت:

جَزَائِرُ مَهْمَا بَاعَدَ لْخَطْبُ بَيْنَنَا تَبَارِكِنِ نْنَجْوى وَتْهَفُو بِي ذْذِكْرى

والتقطيع العروضي يكون على النحو التالي:

0///0	/0/0	//0/0/0	//0//	/0/0/0	///0//	0/0/0	// 0/0/0
فعول	مفاعيلن	فعولن	مفاعلن	فعول	مفاعيلن	فعولن	مفاعيلن

ومن هذا التقطيع العروضي نرى أنه وقع القبض في التفعيلات: الأولى والرابعة من الشطر الأول، والتفعيلة الأولى من الشطر الثاني، والقبض في تعريفه هو حذف الحرف الخامس في تفعيلة "فَعُولُن" فتصير "فعول" وتفعيلة "مفاعيلن" فتصير "مفاعلن" وزحاف القبض من زحاف المفرد، وزحاف القبض لا يدخل إلا على "فَعُولُنْ ومَفَاعِيلُنْ".[3]

أما في البيت الذي يليه:

حَنِينِي إلى القصباء هَاجَ مَدامِعي وَشَوْقِي إلى بِلْكُوَر أَقْدَنِي الصَّبْرا[4]

---

[1]- مختار عطية، موسيقى الشعر العربي، دط، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، دت، ص 212.

[2]- مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ص261.

[3]- مختار عطية، المرجع السابق، 212.

[4]- مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص261.

والكتابة العروضية:

حَنِيني إلَى قَصْبَاءِ هَاجَ مَدامِعِي وَشَوْقِي إلى بِلْكُوَرَ أَقْفَرَ نِصْصَرَا

والتقطيع لهذا البيت:

0/0//	0/0/0//	/0//	0///0//	0/0//	/0/0/0//	/0//	0/0/0//	0/0//	/0/0/0//	/0//	0/0/0//
فعولن	مفاعيلن	فعول	مفاعلن	فعولن	مفاعيلن	فعول	مفاعيلن				

في هذا البيت نجد نفس الزحاف وهو القبض حذف الخام الساكن ونجد ذلك في التفعيلة "فعولن" في صدر وعجز البيت لتصير "فعول" وتفعيلة "مفاعيلن" في صدر البيت لتصير "مفاعلن".

أما القافية فهي تعد الشريك الأول الأوحد لميزان البحر الشعري في تحقيق الإحساس بموسيقى البيت، ولها أثر كبير في موسيقى الشعر العربي وهي الركن الثاني بعد الوزن، فهي تريح النفس، وتطرب السامع، وتكسب موسيقى الشعر المزيد من العذوبة والجمال وحس الانسجام، وكما تساعد على حفظ الأشعار وتذكرها.

فعرفها "الأخفش" بأنها آخر كلمة في البيت، ولعل أنسب تعريف للقافية هو تعريف الخليل بن أحمد الفراهيدي بأنها الحروف التي تبدأ بتحرك قبل أو ساكنين في آخر البيت الشعري.[1]

ونلاحظ أن مفدي زكرياء اعتمد في بناءه لقصيدة "فلا عزّ حتى تستقل الجزائر" على قافية واحدة هي متحركين يتوسطهما ساكنين (/0/0)، والقافية هي "ذكرى" /0/0 والثانية "صبرا" /0/0.

أما حرف الروي الذي تبنى عليه القصيدة بتكرار القافية منذ أول بيت فيها حتى نهاية القصيدة، وعادة ما يسمى العرب القدامى قصائدهم وينسبونها إلى حرف الروي فعلى سبيل المثال قصيدة همزية أي حرف رويها همزة ... وهكذا.

ففي قصيدة "فلا عز حتى تستقل الجزائر" اعتمد الشاعر على حرف الراء ورويها هو الراء، وأما الحرف الأخير الذي هو الألف هو حرف مد، فلا يشترط حرف الروي أن يكون مدًا أو هاءً إلاّ في حالات مخصوصة.

ب - قصيدة "الوطن" لمحمود درويش:

---

[1]- مختار عطية، موسيقى الشعر العربي، ص251.

أما عن قصيدة "وطن" لمحمود درويش فكانت على نفس بحر قصيدة "الذبح الصاعد" لمفدي زكرياء، وهذه الأولى التي مطلعها: "علقوني على جدائل نخلة"[1] والكتابة العروضية لهذا البيت هي:

- عَلَّقُونِي عَلَى جَدَائِلِ نَخْلَه.

عللقوني على جدائل نخله.

0/0///0// 0//0/0//0/

فاعلاتن متفعلن فعلاتن

- واشنقوني فلن أخون النخله.

وشنقوني فلن أخو ننخله.

0/0/0/ 0// 0//0/0//0/

فاعلاتن متفعلن فاعلتن

في هذا التقطيع العروضي نرى أنه وقع الخبن في التفعيلة الثانية والثالثة من الشطر الأول، أما في الشطر الثاني فقد وقع الخبن في التفعيلة الثانية، أما التفعيلة الثالثة فقد وقع القبض في تعريفه هو حذف الحرف الخامس.

فمن الخبن نجد: تفعليه: مُسْتَفْعِلُنْ ⟵ مُتَفْعِلُنْ.

0//0// 0//0/0/

وتفعيله: فاعلاتن ⟵ فعلاتن.

0/0/// 0/0//0/

في هذه التفعيلتين حذف الحرف الثاني الساكن.

ومن القبض نجد: تفعيلة: فَاعِلاَتُنْ ⟵ فَاعَلْتُنْ.

0/0/0/ 0/0//0/

في هذه التفعيلة حذف الحرف الخامس الساكن مع تسكين اللام.

أم من حيث القافية فقد سبق تعريفها عند الخليل بن أحمد الفراهيدي، فالشاعر محمود درويش في قصيدة "وطن" اعتمد على قافية واحدة وهي متحركين يتوسطهما ساكنين

[1]- محمود درويش، ديوان محمود درويش، ص231.

(/0/0)، والقافية في الشر الأول والثاني "نَخْلَه" (/0/0) أما في بقية الأشطر فالشاعر اعتمد على قافي واحدة.

أما حرف الروي فاعتمد الشاعر في غالب الأشطر على حرف اللام، ففي الشعر الحر نجد تعدّدًا لحرفي الروي، أما حرف الهاء فتكون في الأصل وصلاً تتبع الحرف الذي قبلها وهو حرف الروي، وسمي الوصلُ وصلاً لأنه وصل حركة حرف الروي.

ومما يؤكد تمسك الشاعرين مفدي ومحمود درويش بالموسيقى الشعرية وهي في اعتبارها قالبًا صارمًا لا ينبغي تجاوزه، لأن هناك مجموعة من القواعد والالتزامات التي بني على دعائمها الشكل الموسيقي، ولذلك نجدهما قد التزما بمجموعة من الالتزامات وهي:

- تكرار وحدة صوتية معينة وهي "وحدة الإيقاع" التي تتألف مما عرف في العروض باسم "التفاعيل"، وتتألف التفعيلة من توالي مجموعة من السواكن والحركات على نحو معين وقد تكون وحدة الإيقاع تفعيلة واحدة وقد تتركب من أكثر من تفعيلة، ومن تكرار هذه الوحدة يتولد الإيقاع الموسيقي الأساسي في القصيدة، وعند الضرورة الشعرية يسمح عند تكرار هذه الوحدة بتنويع محدد ومحكم بنظمه ما عرف في العروض باسم "الزحاف والعلل"، وهذا التنويع المسموح به لا يترتب عليه تغيير جوهري في بنية وحدة الإيقاع.[1]

- تكرار عدد معين من وحدات الإيقاع يؤلف بدوره وحدة موسيقية جديدة مركبة هي "البيت" الذي يتشكل من عدد محدد من التفاعيل أو وحدات الإيقاع، لابد من التزامه في كل بيت على امتداد القصيدة.

- تكرار صوت معين أو مجموعة من الأصوات - الساكنة والمتحركة - في نهاية كل بيت أو سطر بحيث يلتزم هذا الصوت بعينه في الأبيات القصيدة كلها، وهذه هي "القافية".[2]

3- تجلي الرمز في قصيدة "فلا عزّ حتى تستقل الجزائر":

---

[1]- محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ب ب، ص166.

[2]. محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، ص167.

قصيدة "فلا عزّ حتى تستقل الجزائر" لمفدي زكرياء لا تقل لإيحاءً ورمزًا عن قصيدة "وطن" لمحمود درويش، فالشاعر استهل رموزه بالرموز الدينية ويتجلى ذلك في: "سليمان، عصى موسى، كلم الله موسى في الطور، عيسى، إبراهيم، آدم، يوم بدر، محمد، السبع الشداد".

فبدأ الشاعر البيت بقوله:

وما دلنا عن موت من ظن أنه سليمان - منساة - على وهمها خرا.[1]

فسليمان صاحب الملك الذي وهبه الله ولم يبغه لأحد من بعده، وليبين الله تعالى أن لا ملك إلاّ ملكه ولا سلطة إلاّ سلطته جعل نبيه جسدًا بدون روح فلم تعلم الإنس ولا الجن بأمره حتى أكلت دابة الأرض عصاه وخّر على الأرض وتحقق الخلق من موته، فنسب هذه الحادثة إلى ديغول الذي ظنه الفرنسيون أنه المنقذ وأنه ذو سلطة وملك شديد ولحساسه الغِر بالعظمة، لكنه مجرد زيف فقد تيقظ الجزائريون إلى تِلْكُم العظمة التي يتكئ عليها، فأشار إليها الشاعر بمنسأة سليمان التي حملته لسنين إلى أن جاءت إليها دابة الأرض وأسدلت ستاره.[2]

وتلاه ذكر "عصى موسى" التي راحت بقرة الإله تلقف الحر وأشار بها إلى بنادق الثوار الجزائريين التي راحت تلقف النار، فأجاد بذكر موسى ومعجزاته قي قوله:

وكلم موسى اللهُ في الطور خفية وفي الأطلس الجبار كُلِّمنا جهرا.[3]

وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن وقر بناه نجيا﴾ مريم [الآية: 52]، فنسب الشاعر الكلام إلى صرخة الثوار في الجبال الشامخات "الله أكبر.الله أكبر.لا إله إلاّ الله"، فأضاف بعد موسى عيسى الذي أنطق الإنس بعد وفاتهم فما كان للثوار الجزائريين إلاّ أن أنطقوا الصخر.

وزاد بعد ذلك الله إبراهيم التي كانت له النار بردًا وسلامًا بمشيئة الله، فعلمنا أن نخوض غمار الحرب وحررتها وأن نجلها هينة باردة عينا، ولم يكتف الشاعر بهذه الرموز وذكر مقتطفات أخرى نحو قوله: "أدم قد ضيع الخلد" بأكله للتفاحة وفرنسا

---

[1]. مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ص255.

[2]. محفوظ كحوال، أروع قصائد مفدي زكرياء، دط، نوميديا للطباعة والنشروالتوزيع،قسنطينة الجزائر،ص104.

[3]. مفدي كرياء، المصدر السابق، ص256.

ستضيع حلمها بالخلد في أرض الجزائر، ولن يُبْقِي لها المكافحون شبرًا واحدًا تبقى عليه لأن كل أيام الجزائريين (معاركهم) كيوم بدر تحت لواء النبي(ص) لأن أبرز أسبابها اضطرار المسلمين لخروج من ديارهم بمكة، بعد أن نكل الكفار بهم واغتصبوا ممتلكاتهم ومنعوهم من أداء فرائضهم، فهذه الأيام بالنسبة للشاعر كيوم الفرقان فقد فرق الله بين الحق والباطل وهذا ما ذكره لنا التاريخ من كثير الوقائع البطولية التي غنمت فيها الجزائر وأبنائها.

فينقل الشاعر بعدها إلى البيت الثلاثين فيقول:

عبرنا على السبع الشداد نشقها ولم تثننا الأزراء أن نعبرالعشرا.[1]

فالسبع الشداد في أصلها السماوات العلى نسبة لقوله تعالى: ﴿وجعلنا فوقكم سبعًا شدادًا﴾ النبأ [الآية:12] أما الشاعر فقد رمز بها إلى سنوات الثورة الجزائرية السبع وإن لم يحققوا المراد واصلوا إلى عشر، وعلى غرار هذه الرموز الدينية فقد شّبع الشاعر قصيدته بالرموز الطبيعية والتي تختلف دلالتها بين حنين لكل رقعة من هذه الأرض الطاهرة وبين شموخ وثوران وذكره "الأطلس" وهما حزامين جبلين يربطان شرق الجزائر بغربها، ومعروفان بارتفاعهما الشاهق وشموخهما فكان الأطلس حامي المجاهدين لأنهم الأدرى به، وكذلك استعمل "البركان" وهو الذي يدل على الثوران والانفجار الذي سببه الضغط الشديد فما كلن للجزائريين إلاّ أن يواجهوا هذا الضغط بالعنف وحرارة الحرب.

وانتقل بعد ذلك لذكر بعض الأحياء والمدن الجزائرية التي حنّ إليها والتي دمجناها مع الرموز الطبيعية وبدأ بأحياء العاصمة الجزائرية، وبدأ "بالقصباء" وهو الحي العتيق والنواة التاريخية للعاصمة الجزائرية، ويمكن أن ننسب القصبة إلى الرموز التاريخية، و"بلكور" و"باب الواد" و"الأبيار" و"السعد الباسم" و"القبة الفيحاء" كلهم مطلون على البحر، والتي يغلب على مبانيها اللّون الأبيض، ولذلك تسمى "الجزائر البيضاء" أو "البهجة" لأنها تبدو للناظر وكأنها شلالات من المنازل البيضاء المتدفقة من عِلٍّ إلى البحر الأبيض المتوسط، وانتقل إلى كل ربوع التراب الوطني من الشرق "سرتا" (قسنطينة) و "جبل الوحش"(الأوراس) إلى الغرب "وهران" و"تلمسان" ومن ثم إلى الجنوب الجزائري والغلاة الكبرى المترامية الأطراف وهذه الرموز توحي بشدة حنين

[1]- مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ص257.

الشاعر إلى أرضه وأي أرض وهو لم ينفى منها ولم يـُطرد، الأرض التي توهمت فرنسا أنها امتلكتها لكن الجزائريين ردوا عليها فمبتغى العدو كالسراب يحسبه الظمآن ماء.

4- تجلي الرمز في قصيدة "وطن":

إن قصيدة "وطن" لمحمود درويش تخفي في طياتها العديد من الرموز، ونجد في مستهل القصيدة لفظة "نخلة" هذه الأخيرة رمز طبيعي ذو إيحاء قوي يجعل الشاعر يوظف هذه اللفظة لما لها من مكانة ذات أصالة وشموخ وعلاقتها بالأرض، فالفرد العربي يعي قيمتها والمعنى الذي تحضره في الجملة حين حضورها.

هناك عدة مواقف تبرز قيمتها يظهر ذلك في قصة مريم البتول، لما اشتد بها المخاض التجأت إلى جذع النخلة، وكانت تلك النخلة في موقع يقال له بيت لحم فلما

اشتد عليها الأمر قالت: ﴿ يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيا فناداها من تحتها ألاّ تخافي ولا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا، وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا﴾ سورة مريم [الآية 24]، فالنخلة هي من مجموع النباتات التي كانت تنمو من قديم العصور، وبيت لحم منطقة فلسطينية تأثر بها الشاعر فاتخذها رمزًا في قصيدته.

ونجد أيضًا في الذكر الحكيم عن لفظة "نخلة" قوله تعالى: ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه إنا صببنا الماء صبًا ثم شققنا الأرض شقا، فأنبتنا فيها حبًا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلاً وحدائق غلبا، وفاكهة وأبًا متا لكم ولأنعامكم﴾ سورة عبس [الآية:14-32]، فإيراد النخلة في العديد من الآيات القرآنية جعلت الشاعر يهيم بها يوظفها في قصيدته.

وفي القصيدة أيضًا يتجلى رمز آخر يحمل نفس دلالة النخل وهي النوق التي توحي بالشدة والصبر فهي تلقب بسفينة الصحراء، والصحراء معروفة بصعوبة العيش فيها وشدة حرارتها ووعرتها رغم ذلك تبقى النخلة والنوق أهم كائنين يستطيعان العيش فيها والكيف مع ظروفها، فلنخلة والنوق مكانة خاصة عند العرب منذ القديم وحضورها في أشعارهم وأمثالهم خير دليل على ذلك، فمن أمثالهم: "هذا أمر لا ناقة فيه ولا جمل" وقولهم: "أوسعتم سبًا وأودو بالإبل" ويضرب هذا المثل في من سرقت أبله ولم يجد بدًا غير السب والشتم.

أما في أشعارهم قول المتنبي وهو يصف حالة ناقته:

لولا العلا لم تُجب بي ما أجوب بها وجناء حرف ولا جرداء قيدود

وقولهم أيضًا:

قومٌ هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يستوي بأنف الناقة الذنبا.

أما في القرآن الكريم فقد اعتبرت الناقة كمعجزة النبي صالح عليه السلام إلى قوم ثمود هذا ما يؤكد العلاقة الوطيدة للعربي بالنخلة والناقة، والشاعر يوضح علاقته وتشبثه بوطنه كما يدعم ذلك بقوله: "هذه الأرض جلد عظمي، وقلبي...".

ويقابل الرمزين السابقين ذكر للنحلة وهي رمز طبيعي أيضًا، لكن إيحاءها عكس ذلك فهي رمز للحركية والنشاط والرقص ونواة الأزهار وهي تكد و تجد من أجل أن تعيش، ويعد الربيع من أجمل الفصول عندها وأحسنه.

ومن خلال هذه الرموز يعبر الشاعر عن تشبثه بأرضه ووطنه ليس بالجلوس والمراقبة وإنما بنوع من التغيير والثورة على العدو الغاصب.

استعمل الشاعر في قصيدته العديد من الكنايات و الاستعارات لها دلالة على إثبات هويته وأحقيته في الأرض التي تغتصب أمامه، فقد نفى أن تكون هذه الأرض مجرد ذكرى أو قصة أو ضوء على سوالف فلكل من الذكرى والقصة والضوء لها دلالة على الأفول والعمر القصير فهي تتلاشى وتختفي بعد الظهور و الحضور تارة والغياب تارة أخرى، فينكر هذه النفي ويرد عليها بأن هذا الوطن يجتاح إلى ثورة ويرمز إلى ذلك بذكر الرياح مؤكدًا على أحقية الأرض لأصحاب الأرض وهم الفلسطينيون العرب أهل البلد وأنه مهما صار وحث هناك يوٌممنتظر يرد حق من انتظر.

5- مواطن التداخل والاختلاف في القصيدتين:

لقد اكتفى محمود درويش في قصيدته باستعمال وتوظيف الرموز الطبيعية على غرار مفدي زكرياء الذي أثرى قصيدته برموز دينية وطبيعية.

تعتبر الرموز التي وظفها الشاعرين تحمل إيحاءات ومعانٍ متقاربة فهي في معظمها توحي بالوطنية وتدعو إلى الثورة والوقوف في وجه المستعمر، كما تدعو إلى التفاؤل والتطلع لمستقبل أفضل.

اعتمد محمود درويش على القصائد الحرة فهو يعتبر من الشعراء المجددين، أما مفدي زكرياء فهو من شعراء الالتزام، ونادى بالالتزام في القصيدة العمودية.[1]

حملت قصيدة "وطن" على بحر الخفيف الذي مس التنويع زويًّا وقافيتها عكس رائية مفدي زكرياء "فلا عز حتى تستقل الجزائر" التي حافظ فيها على القافية والروي، هذه القصيدة نظمها الشاعر أثناء زيارته لبنان لطبع اللهب المقدس وأذيع في جميع العواصم العربية يوم الذكرى السابعة للفاتح نوفمبر 1961م اشتملت على اقتباسات من القرآن الكريم وذلك في البيت السابع:

وما دلنا عن موت من ظن أنه سليمان - منساة - على وهمها خرا[2]

يقابله قول المولى عزّ وجلّ: ﴿فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على الموت إلاّ دابة الأرض تأكل منسأ ته فلّم خّر تبين الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾ سورة سبأ [الآية: 13].

ورثنا عصى موسى فجدد صنعها حجانا فراحت تلقف النار لا السحرا[3]

يقابله في القرآن الكريم: ﴿فلما ألقى عصاه فهي تلقف ما يؤفكون﴾.

إن كلتا القصيدتين تحمل كلاًما محذوفا ترك للقارئ التصرف فيه يملأ بما يشتهيه من ألفاظٍ تشيع غريزته الأدبية.

إن قصيدة "الوطن" لمحمود درويش اتسمت بتكرار كلمة "وطني"، وهي دلالة على العلاقة الوطيدة التي تربطه بوطنه والتشبث به، على الرغم مما هو حاصل.

اشتملت القصيدتين على أفعال ماضية ومضارعة وأفعال الأمر، فالأفعال الماضية هي دليل على ثبات قضيتها ومصداقيتها، والأفعال المضارعة دليل على استمرار هذه القضية وديمومتها حتى يدحض الحق الباطل، أما أفعال الأمر تدعوا إلى التحريض ولثورة ضد كل عدو غاشم غاصب، كما استعملا الأسماء الجامدة وهي دلالة على الثبات والسكينة والاستقرار، والأسماء المشتقة ذات دلالة على الديناميكية والحركية.

---

[1]- حواس بري، شعر مفدي زكرياء، ص 50.

[2]- مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ص255.

[3]- المصدر نفسه، ص256.

الفصل الثالث: دراسة مقارنة في مضمون القصيدتين.

1- مضمون قصيدة "فلا عز حتى تستقل الجزائر.

2- مضمون قصيدة "وطن"

3- أوجه الاختلاف والتشابه في القصيدتين.

يحتل الشعر الثوري موقعا متميزا على خريطة الشعر العربي بالإضافة إلى خصائص الشعر العربي ظهر البعد النضالي المقاوم والرؤية الفنية التي تجسدت في العديد من الروائع الشعرية التي لم تكن بمعزل عن الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية التي مرت بها الشعوب المستعمرة، بل كان لها الدور الفاعل والمتواصل في رصد تلك الأحداث والتفاعل معها، فاستطاع أن يصور الواقع العربي تصويرا فنيا وذلك باختبار الكلمة الموحية بطاقتها وجرسها فمعناها، فجاء الشعر قويا مؤثرا، فكان للشاعر إسهاما كبيرا في قضية وطنه وإبرازه للقارئ، هذا الذي جاء تحت اسم شعر المقاومة «وبأنه تلك الحالة التي يعبر فيها الشاعر بعمق وأصالة عن ذاته الواعية لهويتها الثقافية والمتطلعة إلى حريتها الحقيقية في مواجهة المعتدي في أي صورة من صوره منطلقا من موروثه الحضاري وقيمه الاجتماعية العليا التي يود الحياة في ظلّها والعيش من أجلها»

لا شك أن كلا من فلسطين والجزائر قد تعرضت لكثير من التطورات والأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وذلك في القرن المنصرم حيث كانت مسرحا للأحداث والحروب والانتفاضات في وجه الغاصب الصهيوني بالنسبة لفلسطين والمستعمر الفرنسي للجزائر، بعدما عانا من واقع مرير من بشاعة الاستعمار وهتك الحقوق والحريات والحرمات، والقتل والتشريد وتدنيس كل ما هو طاهر بعدما وطئت أقدامهم هذه الأراضي النقية.

فبدأ اليراع يؤكد موقعه من هذه الثورات وأطلق للسان حرية ما يعتقده العقل فكان شاهدا لأنه دّون كل منكر حق تدوين، إلا أن التمسك بالقضية الوطنية هي من واجب جميع الأفراد بغض النظر عن الاعتبارات والفروق الفردية والاجتماعية.

1- مضمون قصيدة "فلا عز حتى تستقل الجزائر" لمفدي زكرياء:

تحيلنا الحماسة الشعرية عند مفدي زكريا إلى الشعراء الأوائل ببروز هذا الأسلوب الشعري حيث تم اتخاذه نهجا ونوعا شعريا على غرار الرثاء والهجاء والمدح...

اشتهرت الحماسة عند أبي تمام(*) وذاع صيتها في زمانه، أما بالنسبة للقصيدة الثورية الجزائرية فهي تحيي في النفس الروح الوطنية والدعوة إلى الوقوف وقفة رجل واحد في مواجهة عدّو مارد، باستعمال الطرق بالثورة ويظهر هذا الأسلوب في الأبيات التالية:

عبرنا على السبع الشداد نشقها ولم تثننا الأرزاء، أن نعبر العشرا
ونفرض في الدنيا احترام وجودنا وننشر في أحلافنا الرعب والذعرا
نلقي دروسا في البطولة للورى ونترك للأجيال عن حربنا خبرا.[1]

المعاني الغزيرة التي تتخللها هذه الأبيات تحرك الحس الوطني والنخوة الجزائرية وتدفع الشعب للمواجهة والمجابهة مما يبرز دور الشعر في المقاومة الشعبية وتفاعل لغة الشعر مع المجتمع.

إن العيش في ظل العبودية الاستعمارية وظروفها رغم اختلاف جيلي الشاعرين جعلنا نبحث عن نوع من المقاومة في كتابتهما الشعرية أو نفورها وذلك من حيث المضمون بداية بقصيدة "فلا عز حتى تستقل الجزائر" التي تنقل عدم الاستسلام للواقع التي تحاول فرنسا فرضه في الجزائر.

الشاعر برع في التصوير بتنويع الصور وبلاغتها مما يسهل عملية التوصيل إلى المستمع بفضل الحيوية في اللغة واستعمال المفردات البسيطة التي تظهر صدق الإحساس.

(*) هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ولد في قرية من قرى حوران السورية كان أبو تمام فصيحا، شاعرا، أديبا يحفظ من أراجيز العرب أربعة عشر ألف أرجوزة، اشتهر بديوان الحماسة.

- من كتابه ديوان الحماسة لأبي تمام بن أوس الطائي، منشورات محمد علي بيضون، دط، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، دت، ص3.

(1)- مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ص 257.

صدق الإحساس الذي ينتقل من ذاتية الشاعر إلى الجمهور ما يقوي ارتباط الوجدان الجمعي أو الشعبي من أجل التأصيل، فالقصيدة محاولة من عديد المحاولات لإثبات الوجود وفرض التمركز واستعمال الصور الكلية لحالة المأساة والمعاناة بالأسلوب المناسب والمباشر الخالي من الغموض ودهاليز المعاني بقرب الشاعر من القاعدة الشعبية فيكون أحد مصادر النوعية والإرشاد.

تجلي الصورة النفسية للشاعر وحالته هي دائمة الحركة والانفعال، هذا الانفعال هو انفعال داخلي يبرز الهيجان في قوله:

سنثأر! حتى يعلم الكون أننا أردنا فأرغمنا بإصرارنا الدهرا.
ويا عربيا.. في بلاد شقيقة عروبتنا من يستطيع لها نكرا..؟!
فما حربنا، إلا امتدادٌ لثورة أراد لها من كان يخذلنا، خسرا..[1]

هذه المقطوعة توضح أكثر الحالة النفسية الملتهبة للشاعر يجعله يحرر ما يكتنف صدره بأسلوب حماسي يلهب أفراد المجتمع ويحرك ضمائرهم نحو انتفاضة عارمة تبين مسألة واحدة ووحيدة وهي الالتزام بقضية الوطن رغم أن ظاهرة الالتزام ظهرت في الشعر الفلسطيني.

القصيدة غزيرة المعاني بسيطة الألفاظ ذات أسلوب مباشر غير متماسك يمكن لأي قارئ التصرف فيها بحذف بيت ما أو الإخلال في ترتيب أجزاء القصيدة دون اختلال في المعنى حتى أنه من الممكن إعادة صياغة أي بيت فهي خالية من الاتساق في المعاني مجردة من وحدتها العضوية والموضوعية التي تؤدي وظيفة التماسك في مضمون القصيدة فالشاعر ذو خيال خصب وتجربة شعرية ثورية عميقة إلا أننا نجد الميول إلى التقليد والحفاظ على منوال القصيدة العربية القديمة وعلاقتها بعمود الشعر، غير أنه لم يتبع التراث الشعري السابق في مقدمته الطللية ونحو ذلك، إنما جاء بمجموعة من الأفكار تعبر عن حالته الشعورية فلا تمايز في قصيدته بين مستهلها ووسطها ونهايتها فهي جميعا تدور حول موضوع أو مواضيع متجانسة أو على الأقل تسيطر عليها وتجمع بينها حالة شعورية واحدة، وهذا العامل النفسي خاص بالشاعر وظروف الثورة التي يتحدث عنها، فالشاعر الذي يواكب ويتبع وأحداثها واحدًا واحدًا، لا

[1]- مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ص 264.

يجد الاستعداد والتهيؤ النفسي أمام الأحداث المتتالية المفاجئة، وأمام ضراوتها ومأساويتها غالبا يجعله ينفر من البحث عن مقدمة طللية أو غزلية...[1]

2- مضمون قصيدة "وطن" لمحمود درويش:

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسه.[2]

البيت الشعري يوضح العلاقة الوطيدة بين الشاعر ومسقط رأسه، علاقة لا يشوبها غلٌّ أو كره، علاقة رغم المأساة والمعاناة فهي تتجه نحو الانصهار فيصبح الوطن أحد الشرايين والأوردة ذات لأهمية البالغة في قلب شاعر مجروح لا يُشفي جروحه سوى التخلص من الوباء الذي يصيب أرضه.

تبرر إحدى أنواع هذه العلاقات بين شاعر غني عن التعريف "محمود درويش" بأرضه "كنعان"(فلسطين)، ويتجلى أكثر في إحدى قصائده ذات عنوان جامع لكل معاني الهوية والمواطنة.

قصيدة "وطن" تحمل في طياتها مضمونًا فياضًا بكل الأحاسيس ذات الصلة الشديدة والمعبرة عن مكنونات شاعر يعاني التشرد وهتك الحقوق يجعل قائل الشعر يلتزم بقضية وقضية شعبه ووطنه فهو يقنع مستمعيه بحرارة عاطفته وأمانة وصفه كما يعبر عنه من شعور نحو هذه الأرض فتظهر كلماته صافية لا يلوثها الخداع، فالالتزام بقضية وطنه وشدة العلاقة به تشبه لحد كبير علاقة الشاعر العذري بمحبوبته التي تعتبر داؤه ودواؤه، وهي حبه الوحيد ومطلبه الأبدي حتى صار اسم الشاعر ملازما لاسم محبوبته فنقول: قيس ليلى وجميل بثينة وعروة عفراء، وإذا قلنا محمود درويش جاز لنا أن نقول فلسطين وعكس القول جائز، ولفظة "وطن" ذات شمولية لمضمون القصيدة في حد ذاتها.

تميز الشاعر عن أترابه من شعراء الأرض المحتلة بغزارة الإنتاج وبساطة العبارة والأسلوب المباشر والسهل والالتزام بقضية وطنه كما سبق لنا وذكرنا وغزارة المعاني يتجلى ذلك في مستهل قصيدته:

---

[1]- ينظر: يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكرياء، ص 166-167.

[2]- أحمد شوقي، صفوة المؤلفات الكاملة، الشوقيات، مج1، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، 2000، ص560.

واشنقوني فلن أخون النخلة
هذه الأرض لي..وكنت قديما.
أحلب النوق راضيا وموله.[1]

التمسك بالأرض ظاهر في جل قصائده نذكر منها بطاقة هوية:

سجل أنا عربي
ورقم بطاقتي خمسون ألف
وأطفالي ثمانية
وتاسعهم سيأتي بعد صيف
فهل تغضب؟[2]

هذه هي الصورة النفسية للشاعر وهي صورة عامة وكلية تعبر أكثر عن شدة الحنين لهذا الوطن كما تدعو إلى النهوض والمقاومة وبث روح الوطنية بل أكثر من ذلك وصولا إلى المواقف الإنسانية جمعاء.

هذه الأرض جلد عظمي
وقلبي...[3]

ولا يمكن المساس بأي من عضوية القصيدة والتغيير في ترتيب أبياته لأن ذلك يخل بمضمونها ومعانيها، تبرز هذه الوحدة العضوية في كل أجزاء القصيدة فالموضوع شامل وعام وأعضاءه متماسكة متناسقة ومتحدة، هي توفر القصيدة على الوحدة الموضوعية.

يبدو أن الشاعر متأثر بالمدرسة الرومانسية والمدارس الأدبية ذات التوجه الجديد والمحاربة للقصيدة الكلاسيكية القديمة فيظهر خياله الخصب بصدق الإحساس وطغيان العاطفة وسعة المعاني، والوحدة العضوية للقصيدة التي تؤدي إلى تماسك المضمون لغة سهلة وبسيطة ذات معاني واضحة ومفهومة وهذا تميزت به المدرسة الرومانسية المهجرية خاصة الرابطة القلمية ذات النزعة الإنسانية والتي أعادت للذات كيانها.

---

[1]- محمود درويش، ديوان محمود درويش، ص 231.

[2]- المصدر نفسه، ص71.

[3]- المصدر نفسه، ص 232.

3- أوجه التشابه والاختلاف بين القصيدتين:

أ- التشابه:

– استعمال الأسلوب المباشر والواضح.

– تصوير المأساة ووصف المعاناة.

– تقرب الشاعرين من الطبقة الشعبية.

– بث روح الوطنية – النوعية والإرشاد –

– الصورة النفسية وحركة الانفعال.

– اللغة البسيطة والحيوية.

– صدق الإحساس.

– الإلتزام بالقضية الوطنية.

– تفاعل لغة الشعر مع روح المجتمع.

– استعمال الصورة الكلية دون الجزئية والنظرة المستقبلية

ب - أوجه الإختلاف:

محمود درويش	مفدي زكرياء
– التجديد في المضمون في القصيدة العربية.	– إمكانية التصرف في القصيدة والتغيير في ترتيب أبياتها.

– تماسك أجزاء البيت والموضوع (الوحدة العضوية) – التأثر بالمدرسة الرومانسية. – انتقال القصيدة من البعد الوطني والعربي إلى البعد الإنساني. – ترتيب الأفكار وصعوبة التعبير – الحنين إلى الوطن من كثرة الاغتراب. – العيش في كنف السلام والأزمان وعدم الاهتمام بالفروقات الدينية والتاريخية.	– شعر حماسي ينادي بالجهاد والثورة. – قصيدة ذات بعد وطني لا تتجاوز البعد القومي العربي. – القضاء على المستدمر الفرنسي وطرده من الجزائر.

خاتمة:

مارس الشاعران إبداعهما الشعري حين جعلا من شعرهما وسيلة للكفاح والمواجهة، فالظروف الصعبة التي اكتنفت عيشهما جعلتهما أكثر تطلع لمستقبل أفضل وذلك في حماسة شعرهما والنظرة التفاؤلية المستقبلية، فكلماتهم طلقاتٌ عز من أسلحة ثائر والبقاء على العهد بتحبيب الموت على الاستسلام أولم يقل المتنبي من قبل:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأسى حتى يراق إلى جوانبه الّدم.

فاختلاف عصري الشاعرين أظهر تباين في قصدهما من حيث الهيكل والمضمون لكن هناك توافق كبير من خلال حمل القضية الوطنية والدفاع عنها لأخر رمق، ومن أهم النتائج التي استخلصنا من هذا البحث:

أن الشاعرين استعملا أسلوبا سهلا ورصين يسهل على عامة الناس فهمه، كما أبدعا في تصوير الواقع المرير من مأساة ومعاناة وتجسيده في قالب شعري كما التمسنا منهم صدق الإحساس والالتزام بالقضية الوطنية وتصوير الحالة النفسية والانفعال الداخلي من الحماسة، كما كان لاستعمال الرموز دور كبير لأنها توحي في معظمها بالوطنية وتدعو إلى الوقوف في وجه المستعمر.

وفي الأخير هناك تنويه إلى الإخوة الأشقاء في فلسطين ورجاؤنا من المولى عز وجل أن يجمع بينهم ويشتت عدوهم وأن يلهم أصحاب الأرض الصبر والتطلع إلى اليوم الموعود.

قائمة المصادر والمرجع:

أ- المصادر:

1- ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد عي النجار، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت 1952.

2- ابن طباطبا، عيار الشاعر، ط1 دار الكتب العلمية، لبنان 1982.

3- ابن منظور، لسان العرب، ط4، دار صادر لطباعة والنشر، بيروت، لبنان،د ت

4- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مج3، د ط، دار الجيل.

5- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المغنم، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة 1978.

6- محمود درويش، ديوان محمود درويش، مج1، ط14، دار العودة، بيروت لبنان 1994.

7- مفدي زكرياء، اللهب المقدس، د ط، المؤسسة الوطني للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر 2009.

ب- المراجع:

1- حواس بري، شعر مفدي زكرياء دراسة وتقويم، ب ط، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر ب ت.

2- عبد الرحمن تيرماسين، العروض وإيقاع الشعر العربي، ط1، دار الفجر للنشر، القاهرة 2003.

3- عبد العزيز علم العروض والقافية، د ط، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2004.

4- لويس معلوف، المنجد غي اللغة والأعلام، ط4، دار المشرق، بيروت ب ت.

5- محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، الشعر المعاصر، ط2، دار توبقال للنشر، المغرب. ب ت.

6- محمد صابر عبيد، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، د ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2001.

7- محمد مصاييف، النقد العربي الحديث في المغرب العربي، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب. 1984.
8- نوارة ولد أحمد، شعرية القصيدة الثورية في اللهب المقدس، د ط، دار الأمل للطباعة والنشر. ب ت.
9- يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكرياء، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، الجزائر. ب ت.

الملاحق

قصيدة "وطن" لمحمود درويش:

علقوني على جدائل نخلة
واشنقوني.. فلن أخون النخله

هذه الأرض لي..وكنت قديما
أحلب النوق راضيا ومولـّه

وطني ليس حزمة من حكايا
ليس ذكرى، وليس حقل أهلـّه

وطني ليس قصَّة أو نشيدًا
ليس ضوءًا على سوالف فُلـّه

وطني غضبة الغريب على الحزن
وطفل يريد عيدًا وقبلهْ

ورياح ضاقت بحجرة سجن
وعجوز يبكي.. وحقله

هذه الأرض جلد عظمي
وقلبي..
فوق أعشابها يطير كنحله

علقوني على جدائل نخله
واشنقوني فلن أخون النخله!

فلا عز.. حتى تستقل الجزائر

مَدَدْنا خُيوطَ الفجر..قُم نصنعِ الفجرا وصغنا كتاب البعث..قم ننشر السفرا

وغصنا بصدر الغيب، نجلو ضميره ونقرأ من عدل السماء بـه، سطرا

ودسنا غرور الدهر، في كبريائه فصعّر خدًا! وانحنى، يطلب العذرا

وخضنا تصاريف الزمان، ونروضها ونصدع بالإعجاز أحداثها السكرى

وسقنا سفين (الوعد) حمرا شراعها يوجِّهها للنصر، من (وعد) النصرا

ورعنا الليالي الحبليات، فأجهضت ولم نك نخشى، من عجائبها، شرا

وما دلنا عن موت من ظنّ أنه سليمان -منساة- على وهمها خرا

ورثنا عصا موسى، فجدّد صنعها حجانا، فراحت تلقف النار، لا السحرا

وكلم موسى الله في (طور) خفية وفي (الأطلس الجبار)كلّمنا جهرا

وأنطق عيسى الإنس، بعد وفاتهم فألهمنا في الحرب أن ننطق الصخرا

وكانت لإبراهيم بردا، جهنم فعلمنا في الخطب أن نمضغ الجمرا

وآدم ضيع بالتفاح ضيع خلده و(ماريان) بالتفاح نلقي بها البحرا

وحدثنا عن يوم بدر محمد فقمنا نضاهي في جزائرنا "بـدرا"

تباركت شهرا بالخوارق طافحا وسبحان من الشعب في ليله أسرى

فكم كنت يا رحمن في الشك غارقا فآمنت بالرحمن في الثورة الكبرى

وكم كنت بين الكاف والنون حائرا ومذ قلتها يارب جنبتني الكفرا

ولباك شعب كاد يفقد ظنه (بوعدك) لولا أنه يحفظ الذكرا

ويقرأ في التنزيل عند صلاته بأنك بعد العُسر تغمره يُسرا

واشربته حب الشهادة فارتمى على غمرات الموت تلهبه الذكرى

وطالبته بالمهر إن رام عزة فأسرع من أرواحه، يدفع المهرا

ولقنته: أن الجهاد عقيدة طوى الأزل العلوي في صدرها سرا

دون منال المجد جسر ومعبر فراح على أكباده يقطع الجسرا

فألهبت من بركان نارك ناره وألقيت من علياك فيروعه أمرا

عبرنا على السبع الشداد نشقها ولم تثننا الأرزاء أن نعبر العشرا

ونفرض في الدنيا احترام وجودنا وننشر في أحلامنا الرعب والذعرا ونلقي
دروسا في البطولة للورى ونترك للأجيال عن حربنا خبرا

وإن داهمونا بالبيادق أسرعت بنادقنا تستأصل العسكر المجرا

على رقعة الشطرنج رقعة أرضنا يغازل نصابون في جوفها التبرا

فرنسا أضاعت رشدها يوم أسلمت قيادتها ديغول يحكمها قهرا

جزائر.. مهما باعد الخطب بيننا تباركني النجوى وتهفو بي الذكرى

حنيني إلى القصباء هاج مادمعي وشوقي إلى بلكور أفقدني الصبرا

سنثأر حتى يعلم الكون أننا أردنا فأرغمنا بإصرارنا الدهرا

ويا عربيا.. في بلاد شقيقة عروبتنا من يستطيع لها نكرا..

فما حربنا إلا امتداد لثورة أراد بها من كان يخذلنا خسرا..

فلسطين في ارض الجزائر بعثها فمدوا يدا نحم المعاقل والثغرا

فلا عز حتى تستقل جزائر ولا مجد حتى نصنع الوحدة الكبرى

فهرس الموضوعات:

مقدمة:.....أ

الفصل الأول: النشأة الفكرية والسياسية لدى الشاعرين.....5

1- مفدي زكرياء: 5

– مولده ونسبه.....5

– حياته الفكرية والسياسة.....6

– وفاته وأهم آثاره.....7

2- محمود درويش:.....7

– مولده ونسبه.....7

– حياته الفكرية والسياسة.....8

– وفاته وأهم آثاره.....9

الفصل الثاني: دراسة مقارنة في شكل القصيدتين......11

1- البناء الفني للقصيدتين.....11

2- نظام الوزن والقافية في القصيدتين..... 14

3- تجلي الرمز في القصيدتين. 18

4- مواطن التداخل والاختلاف في القصيدتين.....23

الفصل الثالث: دراسة مقارنة في مضمون القصيدتين.....26

1- مضمون قصيدة "قلا عز حتى تستقل الجزائر.....27

2- مضمون قصيدة "وطن" 29

3- أوجه الاختلاف والتشابه في القصيدتين.....31

خاتمة......33

قائمة المصادر والمراجع.......34

الملاحق......37

فهرس الموضوعات......40